الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــــة غـــردايـــــــة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية

جماليات الانزياح في النص القرآني

– الالتفات أنموذجا –

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات شهادة الليسانس أكاديمي في اللغة العربية وآدابها

اللغة والدراسات القرآنية

إعداد الطالبة:

– خديجة سويد

إشراف الأستاذ:

أ. براهيمي طاهر

السنة الجامعية: (1434هـ / 2013م)

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد جعل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم معجزة رسوله الكبرى، والحجة الدائمة على الخلق، أعجز بفصاحته البلغاء، وأبكمت بلاغته عدنان وقحطان، كتابٌ لا تفنى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا يشبعُ منه العلماء ، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، انبهر به الناس عربا وعجما ، وأقبلوا على دراسته آناء الليل وأطراف النهار، فألفت في علومه المختلفة المؤلفات ، فألف العلماء في إعجازه، وأمثاله، وتفسيره، وتشبيهاته، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وكل ذلك دليلٌ على إعجازه.

وكان لجماليات الانزياح من بين المواضيع التي تناولها علماء اللغة في كتبهم ، وأولوه اهتماما كبيراً لما له من أهمية في البلاغة العربية عموما والبلاغة القرآنية خصوصا، ولما لهذا الأسلوب في إيصال المعاني العظيمة بأوضح صورة إلى ذهن السامع والقارئ، وقد عرف العرب هذا الأسلوب قديما وإن كان البعض لم يصرح به كلفظ، حيث أن هذه الظاهرة أي الانزياح لاقت في مراحل تحديد مفهومها الاصطلاحي خلافاً واسعاً، إذ أورد البلاغيون كثيرا من صور تلك الظاهرة في الخطاب القرآني، غير أن إيرادهم لتلك الصورة لم يكن غالباً من أجل تحليلها والوقوف على مكامن التعبير والتأثير فيها، بل من أجل التمثيل والاستشهاد.

ولقناعتي بأهمية هذا الموضوع وباقتراح من الأستاذ المشرف جزاه الله خيراً، ولما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في إثبات إعجاز القرآن الكريم ، رأيت أن أكتب فيه عسى الله أن ينفعني به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي محاولة لرصد الانزياحات الواردة في بعض من الآيات للقرآن الكريم، وبطريقة تختلف عما كانت للدراسات السابقة بغية تعميق لهذا البحث، وعموماً كانت الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع كثيرة نذكر منها:

- ما للدراسات القرآنية من أثر كبير على الدراسات البلاغية وتطورها؛

- قلة الأبحاث المتخصصة في هذا المجال من الدراسات إذ أنّ أغلبها تعد نقلاً عما قاله اللغويون والبلاغيون والمفسرون الأوائل في مجال الدرس البلاغي.
- إبراز ما لظاهرة الانزياح من أثر بالغ في توجيه المعنى.

وبناء على هذا واعتمادا على الدراسات السابقة سواء القديمة أو الحديثة يمكننا طرح الاشكال الآتي:

- ما مدى دور ظاهرة الانزياح في النص القرآني؟
- ما هو أثر الانزياح في الخطاب القرآني؟
- ثم ما مدى وظيفة ظاهرة الانزياح في توجيه المعنى؟

وللإجابة على الإشكال المطروح قسمت البحث إلى مبحثين، الأول: على شكل نظري، والثاني تطبيقي، الأول ألقيت فيه الضوء على بعض تعاريف الانزياح وأقسامه بالإضافة إلى وظائفه في الخطاب القرآني، أما الثاني فقد أخذت بعض النماذج في تحليل آيات من القرآن الكريم وذلك بالتركيز على المنهج البلاغي، حيث تناولت مثلاً واحداً من كل سياق نظراً لصغر حجم المذكرة ولم أتوسع كثيراً لنفس السبب.

ويمكن تلخيص الأهداف المرجوة من خلال البحث فيما يلي:

- استخراج الانزياحات لبعض من الآيات القرآنية.
- السعي إلى إيجاد الدور الذي يلعبه الانزياح للوصول إلى معنى المعني.
- محاولة كشف الستار عما هو كامن في التراث اللغوي العربي عامة وظاهرة العدول – الانزياح – على وجه التحديد.

ولا يوجد بحث لا يتعرض صاحبه لجملة من الصعوبات تتعلق أساساً بنقص المراجع المتخصصة والمتعلقة بهذا المجال خاصة منها التطبيقية ولضيق الوقت لتوسع في البحث، بالإضافة إلى ذلك كون النص الذي تعاملت معه ليس كباقي النصوص الأخرى.

وإني أرجو أن أكون وفقت في انجاز هذا البحث ولو بشكل جزئي، وأن يكون فيه شيء من الفائدة لمن يطالعه.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذ المشرف ابراهيمي طاهر على تحمله عناء البحث ومساعدته الكبيرة لي.

تمهيد

إن مسألة الجمال وإدراكهُ قضية فطرية، فطر الله الخلق عليها، وخلق صفة الجمال وصفة القبح غير أن الفكر الإنساني تعرّض لهذه القضية بالدراسة، وكانت الفلسفة اليونانية قد عنيت بدراسة الجمال أو فن الجمال، وكان لهذه الدراسة اتجاهان: مثالي ومادي، ثم جاء المسلمون، وقدّموا أفكارا جديدة في هذا المضمار[1].

وإذا كان فن الجمال يتمثل في الجمال المادي والمعنوي، فإن «الجمال القرآني فن قولي يتمتع بطابع زماني لاعتماده الكلمة والنسق الموسيقي ومكاني بمشاهده المؤثرة في المشاعر، ولأجل الايغال في التأثير الحسي يحرك كلَّ الحواس، حتى إن سماع بعض الكلمات يشبه الإدراك المرئي، فيتخذ بُعداً مكانياً»[2].

وجاء الجميل في النص القرآني بأنه « كل ما يخاطب المشاعر ، وما يتصف بمعنى المؤثر في أرقى أشكاله إن في تصوير ما ترتاح إليه العين والأذن، أو في ما يُنفِّر عنه التصوير من خلال دقة بارعة لتصوير القبيح، كما في رسم مشاهد الكفار، ولذلك نقول أن الغائية الأخيرة في الجمال القرآني غائية دينية، هي هداية البشر بالترغيب والترهيب، وإن هذه الغائية تعتمد على فنون اللغة بغناها، وثبُت فيها روح السموِّ، فالقرآن معجزة بيانية»[3].

إذ يؤدي الجمال دور من أدوار الأسلوب في اللغة حيث أن تنوع الأسلوب وما تبعه من تنوع في مناهجه بين: التوجه إلى البحث والكشف عن اجتماعية اللغة أو تعبيريتها، ومحاولة دراسة بنية النص كان نتيجة لاختلاف وجهة نظر الأسلوبية في الانطلاق من زوايا مختلفة في النظر إلى تحديد الظاهرة الأسلوبية التي تقوم عليها تحليلاتهم، وكانت نقطة الاشتراك في أعمالهم جميعاً هي انطلاقهم من النموذج في التحليل.

إذ يعالج الأسلوب بوصفه تأليفاً خاصاً باللغة في النمط التحليلي بوصفه اختياراً وتنظيماً دالاً للعناصر اللسانية، وكان هذا التصور للأسلوب نواة أسست عليها مناهج أسلوبية متعددة. وذلك

1 – أحمد ياسوف، جماليات المفرداة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، إشراف وتقديم نور الدين عتر، دمشق سوريا، دار المكتبي، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م، ص 13

2 – نفسه، ص 18.

3 – نفسه، ص 19

بسبب اختلاف الباحثين في تحديد زاوية الانطلاق إلى وصف النص ومن أهمها ، أسلوبية الانزياح حيث أن هذه الأخيرة هي موضوع دراستنا، إذ هي تقوم أساساً على فرض تقابل بين لغة الأدب «الرفيعة» ولغة المعيار النحوي، المستعمل في العرف؛ «أي اللغة الاصطلاحية» مما يؤلف نحواً ثانوياً مكوناً من صور الانزياح أو الانحراف ويعني ذلك خرقاً للمعيار كالرخص الشعرية أو التمثيل الدلالي في الاستعارة، أو مكوناً من تقييد إضافي للمعيار كاستخدام ، أو التقابل وغيرها[1].

وفي الأسلوبية الحديثة يعد الانزياح من المصطلحات الشائعة، وهو الخروج عن الاستعمال المألوف للغة، « يكون الانزياح خارجياً إذا كان هذا الخروج يتمثل في الانحراف أو العدول عن القواعد المقررة في النظام اللغوي، ويكون داخلياً إذا كان الخروج ينتج عن قطع التسلسل الطبيعي للمتتالية اللسانية بعنصر لغوي مفاجئ»[2].

ومن مظاهر تعدد مصطلحات الانزياح عدة مرادفات منها الالتفات، إذ جاء في ذلك، "ومن مظاهر الانزياح السياقي ما سمته البلاغة العربية بالالتفات وهو العدول عن أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"[3].

أو هو استئناف نظام جديد في صياغة التراكيب يخالف النسق الأول ويتصل بتوزيع النسق النحوي على نحو ينتج شكل بلاغياً جديداً ويحدث الالتفات في الضمائر والأفعال وصيغ الأعداد «الإفراد والجمع» أنماط الجمل[4].

1 – فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، لبنان، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1425هـ/2003م، ص 19.

2 – ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، دار الشروق، 1419هـ/1998م، ص 181.

3 – يحي بن حمزة العلوي، الطراز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، لبنان، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2002م، ص 132.

4 – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، 2004م، ص 242.

المبحث الأول: الانزياح أقسامه ووظائفه في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف الانزياح

الفرع الأول: الانزياح لغة:

جاء في" اللسان"[1]: " "نَزَحَ": نزح الشيء ينزح نزحا ونزوحا: بَعُدَ: وشيء نُزْحٌ ونَزُوح" نَازِح: أنشد ثعلب :

إن المذلـــــــة منـــــــزل نُـــــــزح عـــن دار قومـــك، فـــاتركي شـــتمي

ونزحت الدار فهي تنزح نزوحا إذا بعدت وقوم منازيح قال ابن سيده وقول أبي ذؤيب:

وصـــرح المـــوت عـــن غلـــب كـــأنهم جـــرب ، يـــدافعها الســـاقي، منـــازيح

إنما هو جمع متراح وهي التي تأتي إلى الماء عن بعد، ونزح به وأنزحه وبلد نازح، ووصل نازح: بعيد، وفي حديث سطيح : عبد المسيح جاء من بلد نزيح أي بعيد، فعيل بمعنى فاعل. ونزح البئر ينزِحها وينزَحها نزحا وأنزحها إذا استقى ما فيها حتى ينفذ؛ وقيل: حتى يقل ماؤها.

ونزحت البئر ونكزت تنزح نزحا ونزوحا فهي نازح ونُزوح ونَزوح، نفذ ماؤها؛ قال الليث: والصواب عندنا نزحت البئر إذا استقي ماؤها. وفي الحديث: أنه نزل الحديبية وهي نَزح ونزحتها. لازم ومتعد ، ومنه حديث ابن المسبب قال لقتادة: ارحل عني فلقد نزحتني أي أنفدت ما عندي، وفي رواية نزفتني.

وقال الجوهري : وبئرٌ نَزوحٌ: قليلة الماء، وركايا نُزُحٌ. والنَزَحُ بالتحريك: البئر التي نُزِحَ أكثر مائها؛ قال الراجز:

لا يَسْـــتَقِي في النَّـــزَحِ المِضْـــفُوفِ إلاّ مُـــداراتُ الغُـــروبِ الجُـــوفِ

وجمع النّزح أنزاح . وجمع النزوح نزح. وماء لا ينزِح ولا ينزَح أي لا ينفذ. وأنزح القوم: نزحت مياه آبارهم. والنّزح: الماء الكدر. وقد نزح بفلان إذا بعد عن دياره غيبة بعيدة ؛ وأنشد الأصمعي:

1 – أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، 2005م، الجزء الثاني، ص 614-615

ومَـــنْ يُنْـــزَحْ بـــه لا بُـــدَّ يومـــاً يَجـــيءُ بـــه نَعـــيٌّ أو بشـــيرُ

وأنت بمنتزح من كذا أي يبعد منه؛ قال ابن هرمة يرثي ابنه:

فأَنـــتَ مِـــنَ الغوائِـــل حِـــين تُرمَـــى ومِـــــن ذَمِ الرِّجَـــــالِ بمُنْتـــــزَاحِ

وهو ما جاء في مفهوم الانزياح لغة في معجم " لسان العرب " " لابن منظور " وما يمكننا ملاحظته أن المفهوم اللغوي للانزياح قد شمل انزياحا دلاليا في حد ذاته، فقد دل على معنى "البعد" وعلى معنى " النّفاذ " أي البئر التي ينفذ ماؤها أو يقل وعلى معنى " الماء الكدر " بلفظ " النزح "

وقد ارتأيت لعرض المفهوم اللغوي للانزياح من خلال معجم آخر وهو " معجم اللغة العربية المعاصرة " " لأحمد مختار عمر " بغية تقصي فوارق أو زيادات في مفهوم أو معنى الانزياح لغة. وقد جاء في المفهوم اللغوي للانزياح في " معجم اللغة العربية المعاصرة" ما يلي: " نزح إلى / نزح عن ينزح وينزح، نزحا ونزوحا فهو نازح والمفعول منزوح ". نزح البئر ونحوها : فرغّها قل ماؤها أو نفذ "نزحت الدموع عن عيني"، نزح الشخص عن دياره : أبعده عنها " نزحهم قهرا ".

نزح الشخص عن أرضه: بعد عنها السكان النازحون عن ديارهم، نزح إلى العاصمة : انتقل، سافر " نزح من الريف إلى المدينة....." [1].

ومنه نستنتج أن معنى الانزياح لغة في " معجم اللغة العربية المعاصرة " قد انزاح أيضا للتعبير عن معان متباينة ، منها ما اشترك فيها مع " اللّسان "" لابن منظور" ومنها ما اختلف فيه فأضاف معنى آخر إذا اشتراكا في التعبير على معنى " البعد " وعلى معنى " البئر الفارغة التي نفذ ماؤها "، لكن اشتمل على معنى إضافي وهو " الانتقال " فالانزياح هو انتقال من مكان إلى مكان وفي اللغة هو انتقال من معنى إلى معنى آخر، فالعرب القدامى استعملوا لفظ الانتقال بدلا من لفظ الانزياح أكثر شيء في المجال اللغوي ولكن رغم ذلك فإننا لا ننفي أيضا استعمالهم مصطلح الانزياح ولكن ذلك كان نادرا نوعا ما.

1 – أحمد مختار، معجم اللغة العربية، مصر، القاهرة، عالم الكتاب نشر وتوزيع وطباعة، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م، الجزء الثالث، ص 2191-2192.

الفرع الثاني: الانزياح اصطلاحا:

إن أسلوب الانزياح يعد من أجمل فنون البلاغة ومن ألطف الأساليب في اللغة العربية، وقد تناوله علماء التفسير والبلاغة منذ القدم.

ومن أوائل المفسرين الذين تنبهوا إلى مفهوم الانزياح السياقي أَبو عبَيْدة (ت. 210هـ) في كتابه مجاز القرآن، وإن لم يصرح بلفظه، إذ أطلق على عموم مباحث اللغة العربية تسمية " مجاز" بقوله "" ومن مجاز ما جاءت مخاطبة الشاهد ثم تركت وحالت مخاطبته إلى مخاطبة الغائب، قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ...﴾ [يونس الآية 22]، ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد، في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى، أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[القيامة الآية: 33-34]"" [1].

وينزل ابن الأثير الانزياح السياقي منزلة علم البيان بقوله: " هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن، وإليها تسند البلاغة وعنها يعنعن، وحقيقته مأخوذة من إلتفات الإنسان عن يمينه وشماله ... لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة، فانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضره، ومن فعل ماضي إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضي، أو غير ذلك ... ويسمى أيضا (شجاعة العربية) وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام"[2].

ويعد العدول من تنويعات اللغة ذات المتعة الجمالية، لأن " متعة اللغة الفنية هي متعة إعطاء الفكر والشعور المعبر عنهما تشكيلاً جمالياً ممتعاً، وعلى اللغة أن تلتزم بأداء هذا التشكيل الداخلي الجمالي الذي يستحيل تحقيقه بدونها وهنا تتجلى الحاجة الشديدة إلى جميع مظاهر الثراء والتنوع في اللغة .... ليتحقق هذا التشكل"[3]

ويمكن وضع الالتفات في ضوء علم الأسلوب طبقاً لتصنيف الانزياحات التركيبية وتأثيرها في مبدأي الاختيار والتركيب في الوحدات اللغوية تبعاً "لجاكبسون"، فالانزياحات التركيبية تتصل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية عندما تخرج على قواعد النظم والتركيب، مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات، والانزياحات الاستبدالية تخرج على قواعد الاختيار للرموز اللغوية"[4].

1 – ابو عبيدة: معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد ستركين ، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، (د.ط.ت)، الجزء الأول، ص 11.

2 – ابن المعتز العباسي، كتاب البديع، لبنان، بيروت، دار الجميل، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م، الجزء الأول، ص 58.

3 – ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب «مبادئه وإجراءاته»، ص 70.

4 – ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب «مبادئه وإجراءاته»، ص 182.

ومن الذين عدّوا الانزياح إنصافا "ابن المعتز (ت 296هـ)" في قوله: "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يُشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"[1].

وهذا الأسلوب – أعني الانزياح (الالتفات)- أسلوب متميز من أساليب اللغة العربية كان له اهتمام كبير عند العلماء لما له من أهمية بالغة في إثبات إعجاز القرآن الكريم لأن هذه اللفتات البلاغية قل نظيرها في أساليب البلغاء والشعراء قديماً وحديثاً.

المطلب الثاني: أقسام الإنزياح

الفرع الأول: الانزياح الضمائري

مما لاشك فيه أن الضمائر تؤدي دوراً هاماً جداً في علاقة الربط، إذ أنها تؤدي فاعلية بنيوية في تماسك الجملة وأطرافها، من خلال مواضع الترابط في النصوص، والضمير هو عنصر إحالي لغوي إذ يمثل " مكوناً يعوض مكوناً آخر في موضوع آخر سابق عادة، ويسير هذا التعويض لعمل الذاكرة في محتواها المشترك بين طرفي التواصل، فعوض العنصر الإشاري في موضوع الحاجة إليه، بعد أن ورد أول مرة، ير عنصر إحالي ينوب عنه ويؤدي معناه ويجعل جملة المقولات التي يعملها مفسرة"[2].

لذا عدّ اللسانيون الضمائر من العناصر اللغوية التي يتشكل منها التماسك النصي، وما يعرف بـ " الإحالة التي تنشأ من استخدام الضمائر، وهي تعني أن يذكر " اسم" ثم يذكر بعده " ضمير" وقبله يعود على الاسم أو يحيل إليه[3].

فالالتفات يمثل عدولاً نسقياً عن مألوف الاستعمال، ذلك أن " العدول في استخدام الضمائر برنامج أسلوبي يخطط له المرسيل، وليس مصادفة لغوية مجانية، لذلك ينبغي رصد كل التبدلات الطارئة على مسيرة الضمائر، ومعرفة قدر لها على التوصيل والتعبير"[4]. وفيما يتعلق بالمنهج التحليلي

1 – ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، لبنان ، بيروت ، مطبعة مصطفى الحلبي، 1939م، الجزء الثاني، ص 182.

2 – الأزهر الزناد، نسيج النص، لبنان، بيروت، المركز الثقافي، (د.ت)، الطبعة الأولى، ص 133.

3 – خليل ابراهيم، الأسلوبية ونظرية النص، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية، الدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1997م ، ص 136-137.

4 – محمد نديم خشفة، تبادل الضمائر وطاقته التعبيرية، مجلة البيان الكويتية، العدد: 292 ، يوليو: 1990،

لانزياحات الالتفات وتحولاته فهو " منهج لغوي يعتمد على رصد البناء الشكلي للصياغة، وما فيه من اجراءات ساعدت على انتاج الدلالة"[1].

ومن خصائص بنية التحول الالتفات أنها غير ثابتة إذا " أن البنية لا يمكن أن تظل في حالة سكون مطلق"[2]، وأي تغيير في نظام التركيب فيما يتعلق بآلية التحويل يتحول إلى نظام آخر يوظفه المفهوم الإجرائي في مستوى آخر للدلالة غير ما كانت له في نظامه الأصلي[3].

إن العدول الضمائري يعد إجراءً أسلوبياً يتوزع في الخطاب القرآني على مستوى التركيب على مجموعة سياقات وهي

سياقات التحول	الغيبة	← الخطاب
	الخطاب	← الغيبة
سياقات التحول	الغيبة	← التكلم
	التكلم	← الغيبة
سياقات التحول	التكلم	← الخطاب
	الخطاب	← التكلم

إن هذه السياقات تخضع لعمليات الإختيار من جانب المرسل أو المنتج للرسالة لتعديل الدلالة[4]. ولابد لسياقات التحول في بنائها لتشكيل الصورة الالتفافية من طرفين، إذا يمثل الطرف الأول " الملتفت إليه" عنصر التوقع، في حين يمثل الطرف الثاني " الملتف إليه" عنصر المفاجأة[5]، وطبيعة التركيبية لبنية الصورة الإنزياحية يجب أن تتوفر على عناصر بنيوية، إذ يمكن بيان هذه العناصر في الشكل الآتي:

1 – محمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، مصر، القاهرة، دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى، 1994م، ص 142.

2 – زكريا ابراهيم، مشكلة البنية، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، (د ت)، ص 31.

3 – ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 242.

4 – مازن موفق، الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني، سوريا، دمشق، دار البيان، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م، ص 49–50.

5 – نفسه، ص 53.

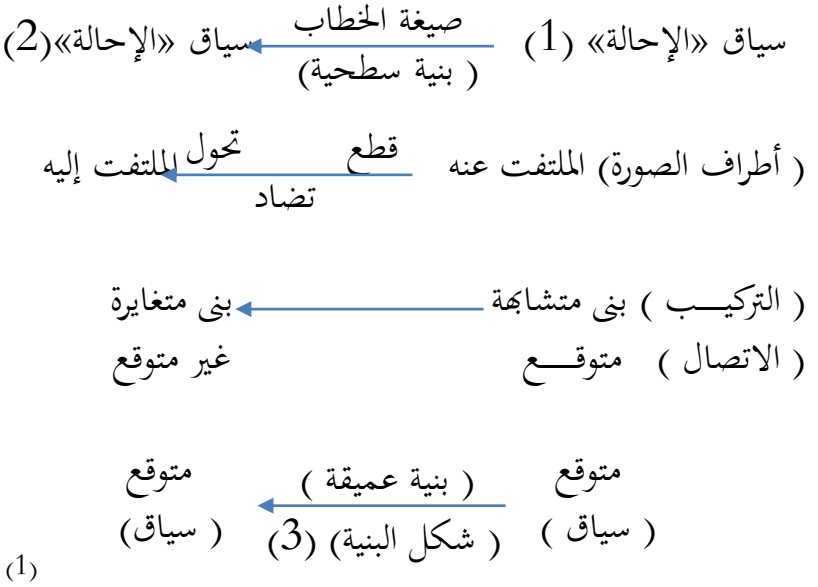

(1)

ويمكن أن نطبق هذه الصورة الإنزياحية أي (شكل البنية) على النص القرآني من خلال عملية التحول من سياق إلى سياق آخر للآيات الكريمة للنص القرآن.

الفرع الثاني: الانزياح الفعلي

يعد الانزياح على مستوى الأفعال أحد الأشكال البنائية للخطاب القرآني، وذلك من خلال تجاوز القواعد اللغوية والمعايير المتعارف عليها والخروج عن المألوف في البناء النحوي، وقبل التطرق إلى أي معاينة للعدول الفعلي تمهد لتعريف الفعل، فالفعل يعرف بأنه: " ما دل على معنى وزمان وذلك الزمان إمَّا ماضٍ وإما حاضر وإما مستقبل"[2].

ومن الناحية البنائية يعد الفعل من أهم أركان بناء الجملة العربية، ولذلك " عدّ الأقدمون الفعل عنصراً جوهرياً في العبارة أو الجملة، وهو كذلك عند المحدثين من اللغويين: عامل مهم في بناء الجملة"[3].

ومعنى دلالة فعل على زمن "أنه يأتي على المستوى الصرفي من شكل الصيغة وعلى المستوى النحوي من مجرى السياق، ومعنى اتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة: ان الزمن هنا

1 – مازن موفق، المرجع السابق، ص 56.

2 – ابن السراج البغدادي، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين القتلي، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1417هـ/1996م، الجزء الثالث، ص 41.

3 – ابراهيم السمراني، دراسات في اللغة، العراق، بغداد، مطبعة العاني، 1961، ص 42.

وظيفة الصيغة المفردة، ومعنى ان الزمن يأتي على المستوى النحوي من مجرى السياق، أن الزمن في النحو وظيفة السياق وليس وظيفة الفعل، لأن الفعل الذي على صيغة فعل يدل في السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل فيه على الماضي، والفعل من حيث المبنى الصرفي ماضي ومضارع وأمر"[1].

والزمن النحوي سياقي لأنه: " جزء من الظواهر الموقعية السياقية، لأن دلالة الفعل على زمن ما تتوقف على موقعه وعلى قرينته في السياق"[2]، ومنه فإن الزمن النحوي هو الذي يهمنا من خلال معالجته بنية الانزياح الفعلي في القرآن الكريم، كونه مرتبطاً بالسياق، وما الالتفات في تشكيله البنائية إلاَّ ظاهرة سياقية ولكن التركيز على المظهر النحوي والبلاغي للعدول الفعلي " لا يعني إمكان إلغاء المظاهر الأخرى، تركيبية كانت أو دلالية"[3].

الفرع الثالث: الانزياح العددي

عدّ كثير من العلماء الالتفات العددي نمطاً آخر من أنماط الصورة الانزياحية، وجاءت أقدم إشارة إليه في اللغة العربية عند " أبي عبيدة (ت 210هـ)" الذي جعله أحد أشكال المجاز في القرآن الكريم يقول: "..... ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظ الجميع ووقع معناه على الإثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد ..... وكل هذا جائز قد تكلموا به"[4]، أي تكلم به العرب في أساليبهم الأدبية.

ومن أبرز الذين جعلوا هذا التحول بين صيغ العدد نمطاً انزياحاً "ابن الأثير" في كتابه " الجامع الكبير"، وذلك بقوله: " الضرب الثالث، الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد"[5].

1 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافية، 1994م، ص 104.
2 – نفسه، ص 105.
3 – سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، لبنان، بيروت، المركز الثقافي العربي، (د ط ت) ص 31.
4 – ينظر: ابي عبيدة، مرجع سابق، ص 18–19.
5 – ابن الأثير ضياء الدين ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، العراق، بغداد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ/1956م، ص 101.

وبالتالي فإن الالتفات العددي بأنماطه المتعددة، وبوصفه عدولاً أسلوبياً من مسار الخطاب المألوف يحقق تفصيلاً بلاغيا للخطاب عامة والخطاب القرآني على وجه الخصوص، لذلك نلاحظ أن القرآن العظيم يتوجه بالمتلقي إلى التأثير والدهشة السريعة والمباشرة.

المطلب الثالث: وظائف الخطاب الإنزياحي

إن وظائف الخطاب الانزياحي من ناحية المعنى أو الدلالة كثيرة في القرآن الكريم، فإذا كانت بنية الخطاب من الداخل فإنها دالة على المعنى، أما إذا كانت بنية الخطاب من الخارج فإنها دالة على الدلالة.

وبما أن الخطاب الالتفاتي يحدث تغيرات تركيبية على الدال اللغوي ولمعنى هو الذي تطلب هذا التغيير والتبديل، وما المعنى إلاَّ علاقة بين الدال والمدلول[1].

ومنه فإنَّ الصورة التركيبية للعدول تعمل على تأدية المقاصد، وفي القرآن العظيم أمثلة كثيرة في الإنزياحات كالإخبار عن أحداث ووقائع يوم القيامة وكل ما يتعلق بالأمور الغيبية، فهي تراعي نفسية المتلقي ومنزلته الخطابية ومستوى إدراكه، فإذن الانزياح من الأشكال التي " تحدث في النفس حركة الانتباه قصداً، ليتقرر فيها ما تلتفت إليه تنشيطاً لداعي التأثر به، وهو في الكلام كما هي في الأجسام: تحويل وجهة إلى وجهة أخرى غير ما ينتظر المخاطب[2]. و"الجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي، فتصوره بألفاظها لتلقيه في النفس، حتى إذا استكملت الجملة اركانها برز المعنى ظاهراً فيه المهم والأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة، وإلاَّ اختل وانهار"[3].

ومن منظور أسلوبي فإن " الوظيفة" وحدة دلالية، ولذا فإن التحليل الأسلوبي يتعامل مع ثلاثة عناصر وهي على الترتيب الآتي:

1) العنصر اللغوي: إذ يعالج نصوصاً قامت اللغة بوضع رموزها.

1 – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، لبنان، بيروت، الدار العربية للكتاب الجديد الطبعة الخامسة، 2006، ص 38.
2 – مجيد ناجي، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، لبنان، بيروت، دار اقرأ، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م، ص 76.
3 – أحمد أحمد بدوي، بلاغة القرآن، مصر، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (د ط ت) ص 105

2) العنصر النفعي: الذي يؤدي تحديد الوظائف السياقية التي ينتجها الشكل الأسلوبي "الالتفات" أو غيره من الأشكال، وهذا العنصر يستدعي وجود مقولات غير لغوية مثل: المنتج والقارئ والموقف، وهدف الرسالة[1].

3) العنصر الجمالي الأدبي: ويكشف عن تأثير النص في المتلقي والتفسير والتقييم الأدبي له.

وبناء على تشكيل هذه العناصر تتحقق أدبية النصوص، أما فيما يخص العنصر الثاني والثالث فمن خلالهما تتحقق وظائف النص الجمالية والبلاغية[2]. وبما أن الانزياح يعد شكلاً بلاغياً وأسلوبياً فإنه يحقق وظيفة ضمن بنية الخطاب اللغوي ذي الشكل البلاغي.

" وفيما يتعلق بوظيفة الصورة من الوجهة الأسلوبية فتعتمد .. على التمييز بين الواقعة والظاهرة، إذ تشمل الأولى كل بينة لغوية تلقت نظر القارئ لبروزها في النص الأدبي، وتمارس عليه تأثيراً من نوع ما، فإذا اطَّردت بانتظام مجموعة من هذه الوقائع الأسلوبية المتشابهة في طبيعتها أو تأثيرها فإنها تكون عندئذٍ " ظواهر"، وسواء اعتمدتا على معايير الانزياح والتضاد والدهشة أو التجسيد الحي للدلالات في استخلاصنا للواقع، فإن الظواهر يمكن أن ترصد من المنظور الإحصائي أو الوظيفي التراكمي"[3].

وفي تراثنا البلاغي جاءت بعض وظائف العدول عند علماء البلاغة العربية من أهمها " الزركشي (ت794هـ)" يصف بعض وظائف الالتفات تحت عنوان "في اسبابه"، أي أسباب حصول الانزياح بقوله: "اعلم أن الالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة: التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر، لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفائه، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية ... وأما الخاصة فتختلف لاختلاف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم"[4].

ومن هنا فإن "الزركشي" يشير من خلال الفوائد العامة إلى مقصدية الالتفات الجمالية وأثرها في تحسين فهم المتلقي، في حين يشير في الفوائد الخاصة إلى مقاصد المرسل " المتكلم" من الخطاب.

1 – ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب «مبادئه وإجراءاته»، ص 100.
2 – ينظر: نفسه، ص 100.
3 – ينظر: نفسه، ص 100.
4 – الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مصر، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376هـ/1957م، ج3/325-326.

المبحث الثاني: بلاغة الأنماط والأسلوبية للانزياح

المطلب الأول: الإنزياح الضمائري "الإلتفات الضمائري"

الفرع الأول: سياق الغيبة والخطاب

إن هذا النوع من الانزياح لم يكن غريباً عن لغة العرب، فالعرب كثير ما تتصرف عن الغيبة إلى الخطاب وعن الخطاب إلى الغيبة، وهو متسع في لغة القرآن الكريم[1].

ومن نصوص القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة الآية: 2-5].

بداية من بيان شكل البنية للصورة الالتفاتية وآلية التحول الحاصلة في هذه الآيات بالشكل الآتي

سياق الغيبة ← (صيغة الخطاب) ← سياق الخطاب

أ) البنية السطحية:

الملتفت عنه (الغيبة)		الملتفت إليه (الخطاب)
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ	أنت ← (قطع تحويل / تضاد) ← هــو	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
متوقع		غير متوقع

ب)البنية العميقة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ	هو الغيبة ←	هو إِيَّاه نَعْبُدُ وَإِيَّاه نَسْتَعِينُ الغيبة
متوقع		متوقع

شكل البنية

1 – العلوي أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة ، الأمالي الشجرية، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، الجزء الأول، ص 117.

إن التعامل مع الصور الالتفاتية بأشكالها يعني الحركة لا السكون[1]، إذ أن الله سبحانه وتعالى حين يقول في سياق الغيبة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بأن لفظ الجلالة يكون في عالم الغيب وكذلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ غيب و ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ غيب و ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ غيب، أما بالنسبة للتحول إلى السياق الخطاب في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإن حضور وتحول معجز فيه دلالة بلاغية على قوة الخطاب وآلية إشتغاله، إذ نقل الخطاب العدولي الغيب إلى حضور المخاطب، فأصبحت الرؤية تعيناً إيمانياً[2].

الفرع الثاني: سياق الغيبة والتكلم

تعد بنية التنوع في سياقات الخطاب الأساس الذي تقوم عليه الصور الانزياحية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام، الآية: 99].

إن هذه الآية وغيرها من سورة الأنعام تعالج العديد من القضايا وعلى رأسها قضية التوحيد، بأسلوب متميز يعتمد على تقرير طائفة من بعض الحقائق الكونية الملموسة، ومن هذه الحقائق قضية إنزال الماء من السماء.

وهذا ما تجده في سياق الصورة الأولى «الغيبة» في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ويأتي الانزياح الذي يمثل طرف الصورة الثانية «التكلم» قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لبيان بلاغة وعظم كمال هذه القدرة وإظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله، إشارة إلى أن نعمه عظيمة[3].

ويمكننا أن نبني شكل البنية لهذا النص بالآتي:

سياق الغيبة (1) ← صيغة الخطاب سياق التكلم (2)

1 – ينظر: مازن موفق، مرجع سابق، ص 57–58.
2 – نفسه، ص 61–62.
3 – الصاوي أحمد بن محمد المالكي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، تحقيق: صدقي جميل العطار، لبنان، بيروت، دار الفكر،2003، الجزء الثاني، ص 211.

أ) البنية السطحية:

الملتفة عنه (الغيبة)			الملتفت إليه (التكلم)
وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	هو	قطع تحول ← تضاد نحن	فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ
متوقع			غير متوقع

ب)البنية العميقة:

وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	هو الغيبة ←	هو الغيبة	فَأَخْرَجَ بِهِ نَبَاتَ
متوقع			متوقع

شكل البنية[1]

الفرع الثالث: سياق التكلم والخطاب

يعد هذا السياق أقل وروداً في الخطاب القرآني، ومثال هذا السياق ما جاء في قوله تعال: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنعام، الآية: 71-72].

ففي هذه الآية الكريمة إلتفات في قوله تعالى:﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ إذ يمثل في هذه الصورة الالتفاتية سياق التكلم في حين نجد الانزياح في قوله عز وجل: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ﴾ أي انتقل من التكلم إلى الخطاب، ومعنى " لنسلم" أي أمرنا لنسلم بالله ودينه الذي أرسله إلينا وهو " الإسلام، وأن لا نعود إلى الشرك بعد هداية الله سبحانه وتعالى[2].

ولم يسر سياق الخطاب في طرف الصورة الثاني؛ أي في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ﴾ على نسق واحد، إذا انتقل الخطاب من المضارع "لنُسْلِمَ" إلى الأمر " وأقيموا " فكان ينبغي

1 – ينظر: مازن موفق، مرجع سابق، ص 120.

2 – الزمخشري أبي القاسم محمود بن عمر ، الكشاف، تحقيق عبد العزيز المهدي، لبنان، بيروت، د ط، دار إحياء التراث العربي، د ت، الجزء الأول، ص 333.

أن يكون الفعل " أقيموا" " لنقيم" على نسق خطاب، التكلم " لنسلم" إلا أنه عدل عن ذلك لجزالة اللفظ[1]. ويمكن تمثيل شكل البنية لهذه الصورة بالآتي:

سياق التكلم ← (صيغة الخطاب) سياق الخطاب

أ) البنية السطحية:

الملتفة عنه (التكلم) — الملتفت إليه (الخطاب)

﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ — نحن ← (قطع تحول / تضاد) أنتم ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ... ﴾

متوقع — غير متوقع

ب)البنية العميقة

﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ (نحن التكلم) ← نحن التكلم ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ... ﴾ لنقيم

متوقع — متوقع — متوقع

شكل البنية[2]

المطلب الثاني: الانزياح الفعلي (الإلتفات الفعلي)

الفرع الأول: سياق الماضي والمضارع

إن هذا السياق يجسد موضوع الانحراف الأسلوبي أي انزياح، وذلك خلال قدرته على الايجاد بالأفكار والأحداث من حيث دوره البلاغي في الخطاب القرآني. ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة الآية: 87].

1 – ابن عطية ابي محمد عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، دار ابن حزم ، 1423هـ/2002م، ص 634.

2 – مازن موفق، مرجع سابق، ص ، ص 333.

وعليه فالعدول الحاصل في هذه الآية الكريمة هو التعبير عن الحديث الذي قد م معنى بصيغة المضارع، ففي المقطع الأخير من الآية ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾عُبَّر عن القتل بصيغة المضارع وهو موضوع الالتفات.

ويقول (الزمخشري (ت. 538هـ)) في هذا الموضع «فإن قلت: هل قيل " وَفَرِيقًا قتلتم؟ قلتُ: هو على وجهين: أن يراد الحال الماضية لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس، وتصويره القلوب، وأن يراد " وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَهم" يعد لأنكم تحرمون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لو لا أني أعصمه منكم»[1]، فالتعبير بالمضارع أوكد وأسند، لأن فيه استحضار الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى الفاعل في حال وجود الفعل، وهذ لا يوجد في الفعل الماضي لأنه لا يتخيل السامع منه إلاَّ فعلاً قد مضى من غير إحضار للصورة في حال سماع الكلام الدال عليه.

ويمكن بيان شكل البنية لهذه الآية بالشكل الآتي:

سياق الماضي ← صيغة الخطاب ← سياق الحاضر

أ) البنية السطحية:

الملتفت عنه (الغيبة)		الملتفت إليه (الخطاب)
﴿ كَذَّبْتُمْ ﴾	فعلتم ← قطع تحول تضاد ←	فعلتم ﴿ تَقْتُلُونَ ﴾
متوقع		غير متوقع

ب)البنية العميقة

﴿ كَذّبْتُمْ ﴾ متوقع ← هو الخطاب ← هو الخطاب ﴿ قَتَلّتم ﴾ متوقع

شكل البنية[2]

1 – ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص 189.

2 – ينظر: مازن موفق، مرجع سابق، ص 186.

الفرع الثاني: سياق المضارع والأمر

يقول " ابن الأثير" عن بلاغة هذا النمط: « إنما يقصد إليه تعظيماً لحال من أجري عليه الفعل المستقبل، وتفخيماً لأمره، وبالضدّ من ذلك فيمن أجري عليه فعل الأمر»[1]، ولقاين هذا النمط في نصوص القرآن الكريم، إذ جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ، إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[هود الآية: 53-54].

فالعدول في قوله تعالى: ﴿ وَاشْهَدُوا ﴾ بصيغة الأمر، وذلك بعد قوله: ﴿ أُشْهِدُ اللَّهَ ﴾ بصيغة المضارع، ولم يقل وأشهدكم ليكون موازناً له، وبمعناه لأن إشهاده الله على الراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم، ولذلك عدل به لفظ الأول لاختلاف ما يبينهما وجيء به على لفظ الأمر كما يقول الرجل لمن يبس الثريّ بينه وبينه: «أشهد علي أني أحبك» تهكماً به، واستهانة بحالة[2].

ومنه فإن شكل البنية للصورة الالتفاتية كالآتي:

سياق المضارع ← (صيغة الخطاب) سياق الأمر

أ) البنية السطحية:

الملتفت عنه (المضارع)		الملتفت إليه (الأمر)
﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ ﴾	أفعل	أفعلوا ﴿ وَاشْهَدُوا ﴾
متوقع	قطع تحول تضاد	غير متوقع

ب)البنية العميقة

﴿ إِنِّي أُشْهِدُوا اللّهَ ﴾ (أفعل المضارع) ← أفعل المضارع ﴿ أشهدكم ﴾

متوقع — متوقع

شكل البنية[3]

1 – ينظر: ابن الأثير، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص 192.
2 – نفسه، ج2، ص 12.
3 – ينظر: مازن موفق، مرجع سابق، ص 224.

الفرع الثالث: سياق الماضي والأمر

ومن نصوص هذا السياق في الخطاب القرآني قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[الأعراف، الآية: 29].

جاء الالتفات في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا﴾ بصيغة الأمر وذلك بعد قوله:﴿ أَمَرَ ﴾ بالفعل الماضي وكان تقدير الكلام أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد، فعدل عن لك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عياده، ثم أتبعها الذي هو عمل القلب، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية[1].

ويمكن أن نبين شكل البنية لهذه الصورة بالآتي:

سياق الماضي ← (صيغة الخطاب) سياق الأمر

أ) البنية السطحية:

الملتفت عنه (الماضي)		الملتفت إليه (الأمر)
﴿ أَمَرَ رَبِّي ﴾	فعل ← (قطع تحول / تضاد)	أفعلوا﴿ وَأَقِيمُوا ﴾
متوقع		غير متوقع

ب)البنية العميقة

﴿ أَمَرَ رَبِّي ﴾ متوقع ← فعل الماضي ← فعلوا المضارع ﴿ أقاموا ﴾ متوقع

شكل البنية[2]

1 – ينظر: ابن الأثير، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص 193.

2 – ينظر: مازن موفق، مرجع سابق، ص 232.

المطلب الثالث: الإنزياح العددي (الإلتفات العددي)

الفرع الأول: سياق الإفراد والجمع

ومن النصوص القرآنية التي وردت في ميدان العدول العددي (سياق المفرد والجمع)، قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[الأحزاب الآية: 2]. والالتفات الوارد في هذه الآية هو العدول بين الإفراد، إذ نجد في سياق الصورة الأولى في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ لأن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم. وذلك بأن هذه الآية تعد توطئة أو تمهيداً لما يرد من الوحي في شأن تحديد أحكام (التبني) وما يتعلق بها[1].

في حين نجد الطرف الثاني في الصورة الالتفاتية في قوله تعالى: ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وهو خطاب عام للمسلمين جميعاً، ومن بواعث هذا التحول أنه جاء لغرض التعظيم، وقيل إنما جاء الخطاب بالجمع لقصد القول: اتبع أنت وأصحابك؛ وقيل للغائبين من الكفرة المنافقين

ويمكن بيان البنية لهذه الصورة الالتفاتية بالآتي:

سياق الإفراد ← (صيغة الخطاب) سياق الجمع

أ) البنية السطحية:

الملتفت عنه (الإفراد)			الملتفت إليه (الجمع)
﴿ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾	أنت	← (قطع تحول / تضاد) أنتم	﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
متوقع			غير متوقع

ب)البنية العميقة

﴿ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾	أنت الإفراد	← أنت الإفراد	بما تعمل
متوقع			متوقع

شكل البنية[2]

1 – ابن عاشور محمد الطاهر ، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1984، ص 252.
2 – ينظر: مازن موفق، مرجع سابق، ص 246.

الفرع الثاني: سياق الإفراد والتثنية

من المواطن القرآنية التي يتمثل فيها هذا السياق قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[المائدة، الآية: 64].

إن هذه الآية الكريمة مسوقة لبيان ادعاء اليهود على الله عز وجل دعوات باطلة، إذ جسد سياق التحول إلى (التثنية) نقضاً لكلام اليهود، وإثبات سعة فضله تعالى، وكان بسط اليدين تمثيل لفعل العطاء، وهو يتضمن تشبيه الإنعام بأشياء تعطى باليدين.

وقد جاء سياق الخطاب ذماً لليهود على ادعائهم على الله سبحانه وتعالى، ولاسيما أنهم أهل إيمان ودين، فلا يجوز في دينهم وصف الله تعالى بصفات الذم، فقولهم: إما أن يكون جزى مجرى التهكم بالمسلمين إلزاماً لهذا القول الفاسد لهم، كما روي أنهم قالوا ذلك لما كان المسلمون في أو زمن الهجرة في شدة، وفرض الرسول صلى الله عليهم وسلم الصدقات، أما بالنسبة لبلاغة التحول في الصورة الالتفاتية فله مقصدية، إذ أن ذكر اليد هنا بطريقة التثنية لزيادة المبالغة في الجود وإلا في حال الاستعارة للجود أو البخل لا يقصد منها مفرد ولا عدد، فالتثنية مستعملة في مطلق التكرير[1]. وجاء شكل البنية لهذا العدول كالآتي:

سياق المفرد ← (صيغة الخطاب) سياق التثنية

أ) البنية السطحية:

الملتفت عنه (الإفراد) ﴿ يَدُ ﴾ متوقع — هي — قطع التحول / تضاد ← هما — الملتفت إليه (التثنية) ﴿ يَدَاهُ ﴾ غير متوقع

ب)البنية العميقة

يَدُ متوقع — هي الإفراد — هي الإفراد ← يَدُه متوقع

شكل البنية[2]

1 – ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء الأول، ص 250.

2 – ينظر: مازن موفق، مرجع سابق، ص 269.

الفرع الثالث: سياق التثنية والجمع

ومن نصوص الخطاب القرآني عن سياق التحول من التثنية إلى الجمع، قوله جل شأنه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس، الآية: 87].

جاء هذا الخطاب موجه من الله عز وجل إلى سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام.

وخطاب تكليف بإقامة بيوتاً لعبادة الله سبحانه في مصر، وكذلك أمرهما بتوجيه هذه البيوت إلى الكعبة من خلال جعلها قبلة، وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة، وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم[1].

ومن خلال هذا الخطاب تظهر لنا الصورة الالتفاتية في قوله: ﴿ أَنْ تَبَوَّءا ﴾ الذي يمثل سياق (التثنية) في حين يجسد قوله عز وجل: ﴿ وَاجْعَلُوا ﴾ السياق (الجمع)، ويمكن إيضاح ذلك من خلال شكل البنية كالآتي:

سياق التثنية ← صيغة الخطاب ← سياق الجمع

أ) البنية السطحية:

الملتفت عنه (التثنية) ﴿ أَنْ تَبَوَّءا ﴾ متوقع — أنتما — قطع تحول / تضاد → أنتم — الملتفت إليه (الجمع) ﴿ وَاجْعَلُوا ﴾ غير متوقع

ب)البنية العميقة

﴿ أَنْ تَبَوَّءا ﴾ متوقع — أنتما التثنية → أنتما التثنية — وَاجْعَلَا متوقع

شكل البنية[2]

1 – ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج1، ص 472.

2 – ينظر: مازن موفق، مرجع سابق، ص 276.

خاتمة

وفيها أهم النتائج وهي:

- لعل أول من تنبه إلى أسلوب الالتفات « الإنزياح» هو أبو عبيدة المتوفى (سنة 201هـ) في كتابه مجاز القرآن؛
- أسلوب الانزياح يختص باللغة العربية دون غيرها ولذلك سُمي بالشجاعة العربية؛
- للانزياح فوائد عامة وهي التفنن في الانتقال من أسلوب إلى آخر لتنشيط المتلقي، وصيانة السمع عبر الضجر والملل من الاستمرار على منوال واحد؛
- وله فوائد خاصة، وهذه الفوائد يختص كل موضوع منها بإختلاف محله وما يقصده المتكلم؛
- إن العدول الضمائري بوصفه أحد الأنماط الإنزياحية في القرآن الكريم، كان وسيلة للإقناع لإيصال الحقائق الدينية، وقد اشتمل على العديد من الموضوعات القرآنية في عالم الشهادة وعالم الغيب؛
- أدى العدول الفعلي دوراً فاعلاً على المستوى المشهدي من خلال استحضار المشهد الحدثي وبخاصة فيما يتعلق بمشاهد الغيب، كيوم القيامة مثلاً، وعمل على تفعيل الأوامر والنواهي ضمن منظومة التكاليف الشرعية؛
- أدى الالتفات العددي وظائف أساسية في الخطاب القرآني من أهمها إعطاء المفرد حكم الجمع، وجعل المفرد مثنى أو جعل المثنى جمع، ومقاصد بلاغية تتعلق بالمقام ووظائفه؛
- جاء دور الانزياح بأنماطه وسياقاته المختلفة، فاعلاً في اضفاء المعنى البلاغي والجمالي على الخطاب القرآني.

قائمة المصادر والمراجع

1) ابراهيم السمرائي، دراسات في اللغة بغداد، العراق، مطبعة العاني، 1961.

2) ابن الأثير ضياء الدين ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، مطبعة مصطفى الحلبي، 1939م.

3) ابن الأثير ضياء الدين، **الجامع الكبيرفي صناعة المنظوم من الكلام ووالمنثور**، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، العراق، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ/1956م.

4) أحمد أحمد بدوي، **بلاغة القرآن**، القاهرة، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

5) أحمد مختار، معجم اللغة العربية، مصر، القاهرة، دار النهضة، (د ط ت)

6) أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الاعجاز والتفسير، اشراف وتقديم نور الدين عتر، سوريا، دمشق، دار المكتبي، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994.

7) الأزهر الزناد، **نسيج النص**، بيروت، لبنان، المركز الثقافي، (د.ت)، الطبعة الأولى.

8) تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافية، 1994م.

9) خليل ابراهيم، **الأسلوبية ونظرية النص**، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية، الدراسات والنشر 1997م، الطبعة الأولى.

10) زكريا ابراهيم، **مشكلة البنية**، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1976م.

11) الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيـــــق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، الحلبي وشركائه، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، 1376هـ/1957م.

12) ابي بكر محمد بن سهل ابن السراج النحوي البغدادي، **الأصول في النحو**، تحقيـــــــق: عبد الحسين القتلي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1417هـ/1996م.

13) سعيد يقطين، **تحليل الخطاب الروائي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1989.

14) عبد السلام المسدي، **الأسلوبية والأسلوب**، بيروت، الدار العربية للكتاب الجديد الطبعة الخامسة، 2006.

15) الصاوي أحمد بن محمد المالكي، **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**، دار الفكر، 2003، الجزء الثاني.

16) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، القاهرة، مصر، دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، 2004م.

17) صلاح فضل، **علم الأسلوب** «**مبادئه وإجراءاته**»، القاهرة، مصر، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

18) الزمخشري أبي القاسم محمود بن عمر ، **الكشاف**، تحقيق عبد العزيز المهدي، لبنان، بيروت، د ط، دار إحياء التراث العربي، د ت، الجزء الأول، ص

19) ابن عاشور محمد الطاهر ، **التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1984

20) ابو عبيدة، معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، تحقيق محمد فؤاد ستركين ، القاهرة، مصر، مكتبة الخان جي، (د.ط.ت).

21) ابن عطية ابي محمد عبد الحق الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، دار ابن حزم ، 1423هـ/2002م

22) ابن المعتز العباسي، **كتاب البديع**، بيروت، لبنان، دار الجميل، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م

23) العلوي أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة ، **الأمالي الشجرية**، تحقيق: محمود محمد الطناحي، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م.

24) يحي بن حمزة العلوي، **الطراز**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، لبنان، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2002م.

25) فرحان بدري الحربي، **الأسلوبية في النقد العربي الحديث**، دراسة في تحليل الخطاب، لبنان، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1425هـ/2003م

26) مازن موفق، **الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني**، دمشق، سوريا، دار البيان، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

27) مجيد ناجي، **الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية**، بيروت، لبنان، دار اقرأ، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م.

28) محمد عبد المطلب، **قراءات أسلوبية في الشعر الحديث**، القاهرة، مصر، دار نوبار للطباعة، 1994م، الطبعة الأولى.

29) محمد نديم خشفة، **تبادل الضمائر وطاقته التعبيرية** ، مجلة البيان الكويتية ، العدد 292 جويلية 1990.

30) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، بيروت لبنان، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، 2005م

الاهداء

شكر وعرفان

مقدمة:..... أ

تمهيد 4

المبحث الأول

الانزياح أقسامه ووظائفه في القرآن الكريم

المطلب الأول : تعريف الانزياح:..... 6

الفرع الأول: الإنزياح لغة:..... 6

الفرع الثاني: الانزياح اصطلاحا:..... 6

المطلب الثاني: أقسام الانزياح:..... 8

الفرع الأول: الانزياح الضمائري:..... 9

الفرع الثاني: الانزياح العقلي:..... 9

الفرع الثالث: الانزياح العددي:..... 12

المطلب الثالث: وظائف الخطاب الانزياحي:..... 13

المبحث الثاني

بلاغة الأنماط والأسلوبية للانزياح

المطلب الأول: الانزياح الضمائري والالتفات الضمائري:..... 15

الفرع الأول: سياق الغيبة والخطاب:..... 15

الفرع الثاني: سياق الغيبة والتكلم:..... 16

الفرع الثالث: سياق التكلم والخطاب:..... 17

المطلب الثاني: الانزياح الفعلي (الالتفات الفعلي) :..... 18

الفرع الأول: سياق الماضي والمضارع:..... 18

الفرع الثاني: سياق المضارع والأمر:..... 20

الفرع الثالث: سياق الماضي والأمر:..... 21

المطلب الثالث: الانزياح العددي (الالتفات العددي) :..... 22
الفرع الأول: سياق الإفراد والجمع:..... 22
الفرع الثاني: سياق الإفراد والتثنية:..... 23
الفرع الثالث: سياق التثنية والجمع:..... 24
خاتمة:..... 25
قائمة المصادر والمراجع:..... 26
فهرس المحتويات
فهرس الآيات
فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الآيات

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الفاتحة	02	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	15، 16
	03	الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	15، 16
	04	مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ	15، 16
	05	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	15، 16
البقرة	87	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا .....﴾	18
المائدة	64	﴿ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ....﴾	26
الانعام	99	﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً .....﴾	17
الاعراف	28	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ ..... ﴾	21
يونس	87	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ .....﴾	24
هود	53	﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ..... ﴾	20
	54	﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ .....﴾	20
الاحزاب	02	﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ ...﴾	22

فهرس الأبيات الشعرية

حرف الحاء

فأَنــتَ مِــنَ الغوائِــل حِــين تُرمَــى ومِـــــن ذَمِ الرِّجَـــــالِ بمُنْتـــــزَاحِ

وصــرح المــوت عــن غلــب كــأنهم جــرب ، يــدافعها الســاقي، منــازيح

حرف الراء

ومَـــنْ يُنْـــزَحْ بـــه لا بُـــدَّ يومـــاً يَجـــيءُ بـــه نَعـــيٌّ أو بشـــيرُ

حرف الفاء

لا يَسْـــتَقِي فِي النَّـــزَحِ المِضْـــفُوفِ إلاّ مُـــداراتُ الغُـــروبِ الجُـــوفِ

حرف الياء

إن المذلـــــة منـــــزل نُـــــزح عـــن دار قومـــك، فـــاتركي شـــتمي